شوقي بزيع

أية امرأة أنت ؟

لانك فاتحة الكلمات وفاتحة القلب أبدأ باسمك هذا النشيـــد .
لان النساء قزانا الصغيرة ، نسكنها خائفين ونسكنها عاشقيـــن
لانك من بينهن الجميلة والمستحيلة
اكتب شعرا لعينيك .
لست ممن يصدق شيئا ، ولا ادعي برعما من براعم ما تنبتيـــن ،
ولكنه الشعر يغلبني فأهزك
اسألك الآن ان تغفري الذنب ، ان تقبلي الحب
سيدتي في النساء وسيدتي في الشجر
وان ترتدي حزنك الآن كي استطيع الكتابة
وكي يتفتح نهـر اللغات العميق ،
وتنهض من بين تلك السلالات اوردتي الميتة .
واسألكم شجرا يتقدم الحلم حين تنام الحبيبة
اسألكم مطرا يغسل الارض حين تبدل اثوابها
وآلهـة تنحني حين تسدل اهدابها
والا فسوف اغني وحيدا لمن ايقظت وردتي
وارتدتني كما يرتدي الله كل الفصول .
وسوف اقول الذي لم اقله ،
واقترح الارض اصغر ، اقترح القلب اكبر
كي تسمعوا مـا اقول :
لم تكـن قبلهـا الارض ،
كان هواء ينام على زهرتين واشياء غامضة لا تفسر،
وابتدات فاستوى اللـه ،
اشهد ان الكتابة وهم وانك لا تشبهين الكلام
وانك انت البداية والعمق أنت الختام
وأنت الحبيبة حتى تجيء العصافير ،
انت الحبيبة حتى يطير الحمام

***

كيف تفهم عاشقة ذلك الحزن ؟
كيف تختصر امرأة عريها وتصير سرابا ؟
وابقى انا عاشق الوهم ،
لا الارض تجري ورائي ولا البحر يأتي .
دعوني ارى موجة تتعرى
دعوني ارى امرأة تخلع الماء عني اذا بللتني الكتابة .
اقول النساء واعني الحبيبة
اقول المياه واعني الحبيبة
ولا شيء في داخلي غير رجع الصدى
فقولي اذن : اية امرأة انت ؟
ايـة ريح تجيء اذا مر جسمك في البال .
تلك سيدة الشعر في الشعراء وسيدة القلب فـي العاشقيـــن .
لم يكن صدفة ذلك الرمل ،
كانت تعينني حارسا للمدى ثم تجري كعاصفة لا تنام
وما زلت اركض نحو الغبار الذي خلفتـه الحبيبة
لم يكـن صدفـة ذلك الحزن ،
انها الآن واقفـة عند مدخل روحي .
تحاول ان تحبس الورد عني فلا تستطيع ،
وان تسرق القيد مني فلا تستطيع .
وهبها استطاعت ، اتكفي جفون امرأة
لتمنع وحشية البحر عن زرقة في دمي ؟
انهـا الآن عاشقـة لا تصدّق ،
يسكنهـا البحر حينا وحينا يحاصرها الماء حتـــى الثمالـة ، ولأعترف
لقد اوشك القلب ان ينتهي والحبيبة اكثر مماتوقعت
وها هي مكتظة باحتمالاتها وانا اتجمع تحت الكتابة كالطفل ، كيف احب ؟
وكيف اهاجر في امرأة تصفها البحر كيف اشاطرها الموج ؟
لا تنزلوني عن الحلم حتى تكف الحبيبة عني .
سأبقى وحيدا على بابها انتظر
وان شردتني يداها

وان اغمدت خصرها المفترس
في تجاعيد كفي الصغيرة
سأبقى على بابها مثل طفل وحيد
وابني لها نجمة فوق قلبي وانزف حتى الوريد .

***

ما الذي يجعل امراة سنبلـة ؟
ما الذي يجعل القلب صيفا فنعشق وهما يسمونه القمح ،
لا تسألي النهـر عنـي ،
انا النهر يركض دون اتجاه ، فهل أنت ؟
قولي اذا كنت ، قولي اذا كنت ،
ثمة قلب تعذبه الاسئلة
وما زال شيء بعيني يركض ابعد مما تظنين ،
ما زال شيء بكفي يحمل تاريخ عينيك بين السطور ويستعذب المقصلة .
حين ينهض جسمك من هدأة الليل يجتمع البحـر تحت الوســادة ،
والارض تفتــح شباكهــا ،
ثم يؤذن صبح بأنك تأتين ، لابسة مطرا فائناوربيعين ،
من يعرف امرأة تتأبط كل صباح عذابا تسميه درس القــراءة ؟
لا تسبقيني الى الشعر ، ليس سوى القلب بين السطور
وعيناك اول حرف تعلمته ونسيت الكتابة
علميني المساء لكي اقطف الشمس تاجا لشعرك ،
او علميني البكاء لكي استرد الصنوبر مـن ذكريات العصافيـر ،
او اتركي شعرك الطفل يذهب ابعد في البحر ابعد في القمـح ،
شعرك متكأ للشمس وقد لامست اخر الغيم
شعرك ان انحني للرياح التي لا تهب .
لماذا تناميـن خارج هذا البكـاء ؟
لماذا تجيئين في آخر القوس دون انحناء ؟
انتظرتك فوق الرصيف الذي عبّدته جفوني لكـي تعبـري فـوقه ،
انتظرتك في غرفة الصف في كتب المدرسة
ولم تصلي بعد .
وقالوا بأنك آتيــة ذات يوم فنام القرنفل في ساعدي

ثم باح باسراره للغيـوم التي اجتمعت تحت جلدي فأغويته .
وانتظرتـك .
ما اجتمعت وردتان على اول القلب الا وكنت شذى الوردتيـن .
ما التقى عاشقان على اول الحب الا وكنت دم العاشقين
ثم اقبلـت ،
ان الاميرة قادمــة ،
خبروهـا بأن العصافير مصطفة كي تمر ،
وبأن الحصى يتثاءب حتى يلامس اقدامها
ثمة امرأة تعبر الآن ،
ثمة بحر تراجع عن نفسه ليصير امرأة
وأنا الازرق المتموج بين النساء وبين الهواء .
كان ثوبك من زبد البحر ،
ما كنت بيضـاء ،
لكنه الثلج يوشك ان يتفتح بين ذراعيك
ما كنت زرقـاء ،
لكن شمس البحيرات عالقة عند مدخل عينيك
ما كنت خضراء .
لكن صدرك تفضي اليه العناقيد بالسر ، لا تقطفي العمر
انت بنفسجة العمر ، انت الدموع الاخيرة
مضى كل شيء الى البحر .
مر المساء ومرت طيور المساء ، وهاجرت الغيمــة الذهبيـة في القلب ،
والشمس في آخر الافق غابت ،
وما زال قلبي يحدق نحو الظهيرة
سأحب الربيع الذي في يديك .
سأحب العصافير وهي تقبل عينيك عند الصباح ،
وسوف اغني واحلم كالسروة الخاسرة .
ان ربيعا يغافلني في الصباح ويسأل عن وردة فـي ذراعيـك
قولي له اننا عاشقان ولا تفتحي الباب
صدرك تنهيدة البحـر
لا تفتحـي البـاب
وجهك تلويحة العمر
لا تفتحي الباب ، ان رجوعي محال .
فكل الشواطيء ممتدة دون جدوى ،
وقد نسي العمر اقدامه في الرمال .

الجنوب